

حقائق التأويل

[50] بقوانينه [1] . والارجح أن هذا هو معنى التقشف الذي ينسب إليه . وإذا كانت الامارات ، والترف ، والحضارة ، والثراء ، لا تنفك في الاغلب عن اقتراف الجرائم ، وغمط الحقوق ، والتلاعب بالقوانين المدنية ، وهتك نواميس الشرع الاقدس - فان الشريف لم يؤثر عنه إلا العفة المطلقة والفتوة والمماشاة بوفاق مع المروءة واحترام النواميس كافة ، حتى في مجالسه الخاصة ، ونحن لتلك العزة وتلك الانفة والمروءة ندعن لآخر نظرة أنه لم يقترف مآثما ، وأن تلك الصفات والملكات تكفه وتردعه بسهولة وبلا مقاسرة ، عن المطالم التي تبتعد بالمروءة إلى المطرح السحيق . وفوق ذلك انا نعتقد عندما ننظر في شعره إلى امثال قوله :
شغلت بالمجد عما يستلذ به * وقائم الليل لا يلوي على السمر أنه مع تمكنه من لذائذ الحياة بأكمل وجه قد اصبح محروما عن اكثرها ، إثارا للمروءة وصونا لكرامة العرض ، ونزداد يقينا في هذا إذا لاحظنا أنه لم يستعمل المواردية في شعره ، ولم يجالس الخلعاء والظرفاء الذين يستخفون بالنواميس في أيام شببته ، وأنه لذلك لم يصرف شيئا من شعره في فنون المهازل والمجون ، فان هذا يدلنا على انه لم يعمل ما يعتذر عنه ولا يصانع احدا سترًا على نفسه ، ولذا نجده وهو بمرصد من اعدائه لا يحفل أن يجاهر بمثل قوله : عف السرائر لم تلط لريبة * يوما علي مغالقي وسجوفي _____ (1) ابن ابي الحديد في شرح النهج وغيره . (*) _____